الأدب الإسلامي و تأثرمُحمد إقبال به

The Islamic Literature and its Influence of on Muhammad Iqbal

تفصيل المؤلفين

1۔ ا۔د۔مسرت جمال

2۔ماريه هاشم

ملخص البحث

يُعرف الأدب الإسلامي بأنه الفكر الذي يتجسد كجوهر وروح الإسلام، فهو لا يقتصر على كونه مشابهًا للإسلام فحسب، بل يُعتبر روح تراث الإسلام وحضارته، ويُشبه بأنه روح تاريخه وثقافته وحضارته المدنية.يمثل الأدب الإسلامي سجلاً لأبرز البطولات والانتصارات التي حققها المسلمون۔

الجدول الزمنى للتقديم

تاريخ الاستلام: ١٠ يوليو ٢٠٢٥

تاريخ المراجعة: ١٥ يوليو ٢٠٢٥

تاريخ القبول: ٢٠ يوليو ٢٠٢٥

تاريخ النشر: ٢٥ يوليو ٢٠٢٥

بيان النشر والاخلاقيات

نشرته مجلة (البحث) قسم اللغة العربية وآدابها جامعة سرجودا، سرجودا، بنجاب، باكستان

هذه المقالة مفتوحة المصدرويتم توزيعها بموجب شروط رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة 4.0 الدولية.(VOL:4 NO:1)

الأدب الإسلامي و تأثرمُحمد إقبال به

The Islamic Literature and its Influence of on Muhammad Iqbal

1.Prof. Dr. Mussarat Jamal

2.Ms. Maria Hashim

Abstract

This study explores the profound influence of Islamic literature on the intellectual and poetic legacy of Muhammad Iqbal, one of the most prominent thinkers and poets of the modern Muslim world. Iqbal's philosophical outlook, poetic style, and reformist vision were deeply rooted in the spiritual, ethical, and cultural heritage of Islam. Drawing upon the Qur'an, Hadith, classical Arabic and Persian poetry, and the works of great Muslim scholars such as Rumi, Al-Ghazali, and Ibn Arabi, Iqbal synthesized traditional Islamic thought with modern philosophical trends. His poetry reflects themes of selfhood (khudi), revival of the Muslim Ummah, and the pursuit of spiritual freedom, all of which highlight his engagement with Islamic literary traditions. By analyzing Iqbal's works within the framework of Islamic literature, this research demonstrates how his writings not only carried forward the legacy of Islamic thought but also redefined it for .contemporary challenges, inspiring both intellectual revival and socio-political reform in the Muslim world

Keywords: Muhammad Iqbal, Islamic literature, Qur'an, Hadith, Rumi, Islamic philosophy, Persian poetry, .selfhood (*khudi*), Muslim revival, spiritual reform, socio-political thought

الأدب الإسلامي

يُعرف الأدب الإسلامي بأنه الفكر الذي يتجسد كجوهر وروح الإسلام، فهو لا يقتصر على كونه مشابهًا للإسلام فحسب، بل يُعتبر روح تراث الإسلام وحضارته، ويُشبه بأنه روح تاريخه وثقافته وحضارته المدنية.يمثل الأدب الإسلامي سجلاً لأبرز البطولات والانتصارات التي حققها المسلمون، ويُوثّق الجهود والأعمال التي بذلها رواد الأدب الإسلامي والمفكرون الذين كافحوا من أجل رفع شأن هذا الأدب وإعلاء قيمه. لقد نطق الأدب الإسلامي بمآثر الأمة ومفاخرها، مما يجعله جوهرًا أصيلًا في فكر وتراث وتاريخ ونهضة الإسلام.كما تجلت مشاعر الأمة الإسلامية في تغنيها بالأدب الإسلامي عبر العصور المختلفة، فهو كان دائمًا نشيد المسلمين في شتى أنحاء العالم، وفي مختلف الأزمنة، للدفاع عن شعوبهم، والدفع بمراتب نهضة الإسلام، ورفاهيتها، وقوتها، وتقدمها وتطورها.

ويُذكر في هذا السياق **قوله تعالى:** ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[i]

هذه الآية تأمر المؤمن بأن يطلب من الله تعالى زيادة العلم باستمرار، وهو دعاء نبوي يعكس أهمية التعلّم والنهل من مصادر الحكمة والحق. في إطار الأدب الإسلامي، هذا الدعاء يحمل معنى عميقًا، إذ يشير إلى أن العلم ليس فقط معرفة كلمات أو معانٍ، بل هو سلوك روحي يرتقي بالإنسان ويجعله أكثر قربًا من الله.ويقول العلامة إقبال لطلب الزيادة في العلم:

حاصل کسی کامل سے یہ پوشیدہ ہنر کہتے ہیں کہ شیشے کو بنا سکتے ہیں خارا[ii]

هذا الفن الخفي يُكتسب من إنسانٍ كامل،الناس يقولون: إنه يستطيع أن يحوّل الزجاج إلى صخر صلد

ترجمة البيت: يعبر محمد إقبال في هذا البيت عن أثر "الإنسان الكامل" أو المربي الروحي في تهذيب النفوس وتزكية الذات، فيقول: "حاصل کسی کامل سےیہ پوشیدہ ہنر،کہتےہیں کہشیشے کو بنا سکتےہیں خارا"، أي إن هناك مهارة خفية لا تُكتسب إلا من إنسانٍ كامل، وهي القدرة على تحويل "الزجاج" الهش إلى "صخر" صلب. وهو تصوير رمزي يقصد به أن النفوس الضعيفة أو المترددة (التي يرمز لها بالزجاج القابل للكسر) يمكن أن تتحول إلى نفوس قوية وصلبة الإرادة (كالحجر) حين تتربى على يد مُرشدٍ رباني. فالبيت يبرز إيمان إقبال بقوة التربية الروحية ودور المصلحين في بناء الذات القوية، التي تشكل جوهر فلسفة "الخُودي" لديه.

الأدب الإسلامي يقوم على العلم بالوحي والحق، وعلى هذا الأساس يُنتج الأدبُ الذي يحمل قيمًا روحية وأخلاقية سامية. فالشاعر والأديب في هذا السياق لا يتوقف عن طلب الزيادة في العلم، لأنه يعلم أن كل معرفة جديدة تزيد من قدرته على التعبير عن المعاني النبيلة، وتعميق فهمه للحياة والدين.

محمد إقبال، مثلاً، كان يُعتبر هذا الدعاء من أساسيات فكره، إذ يرى أن طلب العلم المستمر هو الطريق نحو التجدد والنهضة، وأن الأدب الإسلامي الحقيقي هو الذي ينبثقوأن الأدب الإسلامي الحقيقي هو الذي ينبثق من نور العلم المتصل بالوحي، لا من محض الخيال أو المحاكاة. فالشاعر، في نظر إقبال، ليس مجرد ناقل لصور الحياة، بل هو حامل رسالة، يُشعل قلوب الناس بمعاني الإيمان والعقل المتجدد.

دلالة على أن الأدب الإسلامي يتطلع باستمرار إلى المزيد من العلم والحكمة التي تنير دروب الإنسانية[iii].

وفي سياق الجهود المعاصرة لتعريف الأدب الإسلامي، قدّم الأستاذ محمد المجذوب[iv] رؤيته الخاصة، حيث عرّفه بأنه: "فنٌّ يصوّر الشخصية الإنسانية من خلال الكلمة المؤثرة". وهذا التعريف يُبرز بجلاء طبيعة الأدب الإسلامي كأداة فنية تتوسّل بالكلمة للتعبير عن ملامح الإنسان، في أبعاده النفسية والأخلاقية والسلوكية، انطلاقًا من منظور إيماني يربط الجمال الفني بالقيمة الروحية[v].

الأدب الإسلامي يحرص على التمييز بين الإنسان الذي يستحق أن يُنعت بالإنسانية والإنسان الذي لا يستحق ذلك، من خلال تسليط الضوء على سلوكياته وأخلاقه. ويتناول الأدب الإسلامي مجالات متعددة في الحياة والكون، حيث يسعى إلى استكشافها وتحليلها في ضوء المبادئ الإسلامية، مسترشدًا **بقوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾**[vi]- فهذه الآية تؤكد أن جوهر الإنسانية يقوم على تزكية النفس وصلاح السلوك، وهو ما يسعى إليه الأدب الإسلامي في رسالته الإصلاحية.

ومن أبرز ما يميز الأدب الإسلامي هو أنه يتلقى توجيهاته من الإسلام، ويبتعد عن كل أشكال الفساد والاعتداء على الحُرُمات، مهما كانت الظروف، متحققًا بقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُبِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِوَالْبَغْيِ﴾[vii].

تُعدّ هذه الآيه العظيمةفي نظري من أعظم الآيات التي تجسّد روح الإسلام الأخلاقية، وهي منطلقٌ مهم لفهم الأدب الإسلامي ليس فقط بوصفه فنًا تعبيريًا، بل كرسالة ذات أبعاد روحية ومجتمعية.

هذه الآية الكريمةمن الآيات الجامعة لأصول الأخلاق الإسلامية، وهي تمثل ميثاقًا إلهيًا في تقويم السلوك البشري. ويُعدّ هذا المبدأ الأخلاقي حجر الأساس في الأدب الإسلامي، لأن هذا الأدب لا يقوم على الجمال الشكلي فقط، بل على العدالة والقيم والإحسان في المضمون، والتوجيه إلى الخير، والنهي عن الفساد والظلم.

فالأديب المسلم مطالب بأن يعكس في أدبه هذه التوجيهات الربانية، فيُجسّد العدل في الطرح (أيأن الأديب المسلم يحرص على الإنصاف في ما يقدّمه، لا يُحرّف الحقائق، لا يُضلّل، ولا يُجامل على حساب الحقيقة)، والإحسان في الأسلوب (أيأن لغة الأدب الإسلامي لا تكون جافة أو عنيفة، بل جميلة، راقية، تحترم القارئ وتلامس قلبه، تعكس رُقيّ الذوق وجمال التعبير) ، وينأى عن كل ما فيه فُحش أو تحريض على منكر أو ظلم (أي أن هذا النوع من الأدب لا يتضمن كلمات بذيئة، ولا يدعو إلى الحقد أو العنف أو الفجور، ولا يُشوّه الأخلاق. فهو أدب مسؤول، نظيف، ينهى عن الشرور كما تفعل الآية تمامًا). وهذا ما نراه بوضوح في نتاج شعراء ک محمد إقبال، حيث تتجلى الدعوة إلى السمو الخُلقي والنفسي، وربط الأدب بالرسالة الإصلاحية.وهي آية جامعة لقيم الأدب الإسلامي في التوجيه والمنع والتهذيب.

ويمتاز الأدب الإسلامي بشموله على طيف واسع من المشاعر الإنسانية، مثل السعادة والحزن، والألم واللين، والعصبية والرقة، والضحك والبكاء، والجد والهزل، والهدوء والشقاوة، وكذلك الحب والحسد. هذه الأحاسيس المختلفة تظهر الجانب الإنساني بكل إيجابياته وسلبياته، ويقوم الأدب الإسلامي بتصوير سلوكيات وصفات الأفراد في علاقاتهم، سواء كانت هذه الصفات إيجابية أم سلبية، وذلك في ضوء قوله تعالى: ﴿**وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَى**﴾[viii]

هذه الآية تُظهر أن الله تعالى هو المتصرّف في أعمق مشاعر الإنسان، من فرحٍ وحزن، ضحكٍ وبكاء. فحتى المشاعر التي نظنها نابعة منّا، هي في حقيقتها مظهرٌ من مظاهر رحمة الله وقدرته، وأن الضحك والبكاء لا يحصلان إلا بإرادته سبحانه.في الأدب الإسلامي، يُصبح هذا الفهم جوهريًا، لأن الأديب لا يعبّر عن العاطفة وكأنها مجرد انفعال، بل يرى فيها رسائل ربانية تحمل معاني الحكمة والابتلاء واللطف. فالضحك ليس مجرد لهو، والبكاء ليس ضعفًا، بل كلاهما من مظاهر التربية الإلهية للروح.

وتُشير هذه الآية إلى أن تقلب الأحاسيس هو جزء من الفطرة الإنسانية التي يُعبر عنها الأدب الإسلامي.

كما يراقب الأدب الإسلامي التفاعل بين الرجل والمرأة، سواء كان هذا التفاعل يتسم بالرفق أو بالقسوة، ويناقش انفعالات الرجل في مواقف متنوعة. ويؤطر ذلك قول الله تعالى:

﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[ix]

وهي دعوة قرآنية للرقي في العلاقة الإنسانية، مما يُعد مرتكزًا أدبيًا واجتماعيًا في الكتابات الإسلاميةويشمل الأدب الإسلامي أشكالاً متنوعة من التعبير، مثل الشعر الرائع، والنثر الناعم، والخطابات، والقصص، والحوار، بالإضافة إلى التعبيرات المؤثرة والجميلة. ويحرص الأدب الإسلامي على تجنب الفساد والتشويهات التي قد تضر بصورة الإسلام أو تشوّه معانيه، في انسجام مع قوله تعالى:

﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[x]

وهي دعوة إلى تبني الكلمة الطيبة والطرح الراقي، وهو ما يسعى إليه الأدب الإسلامي قولًا وفعلاًومن المهم أيضاً أن ندرك أن الأدب الإسلامي يتداخل في جميع جوانب العلاقات الإنسانية، سواء كانت بين الرجل وأهل بيته، أو بين الزوج وزوجته وأطفاله، أو بين الجار وجاره، أو بين الصديق وصديقه، أو حتى بين الإنسان وخصمه وعدوه. فكل هذه العلاقات تدخل ضمن دائرة اهتمام الأدب الإسلامي، الذي يسعى إلى ترسيخ قيم المحبة والاحترام والعدل في كل منها، تحقيقًا لقوله تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[xi] تُبيّن هذه الآية الكريمة أن الله خلق الناس جميعًا من أصل واحد: رجلٍ وامرأة، وأن اختلافهم إلى شعوب وقبائل هو لأجل التعارف والتعاون، لا للتمييز أو التفاخر. فالله لا ينظر إلى أشكال الناس أو أنسابهم، بل إلى قلوبهم وأعمالهم، وميزان التفاضل الوحيد عنده هو التقوى، أي مدى طاعة الإنسان لله وخوفه منه.

في الأدب الإسلامي، تُلهم هذه الآية الكُتّاب والشعراء إلى أن يُعبّروا عن الإنسانية الجامعة، لا عن العصبية أو التفرقة. فالأديب المسلم يرى جميع البشر إخوة في الخلق، ويدعو في كتاباته إلى المحبة، والتسامح، والتفاهم بين الشعوب. وهو يدرك أن الكرامة لا تُقاس بالانتماء أو اللون، بل بالأخلاق والإيمان.

أي أن الإنسان المكرَّم هو مَن يحمل رسالة سامية، وليس من يسكن وطنًا معينًا أو ينتمي لجنس معين

وهي الآية التي ترسم القاعدة الكبرى للعلاقات الإنسانية في الإسلام، والتي يستلهم منها الأدب الإسلامي أبعاده القيمية.

اتضح لنا من خلال الدراسة المتأنية في ميدان الأدب الإسلامي، أنّ هناك عددًا من الأدباء الذين شكّلوا أعمدة راسخة لهذا الاتجاه، وكان من أبرزهم الدكتور عبد الرحمن العشماوي[xii] ، الذي تميّز باهتمامه العميق بالأدب الإسلامي حتى غدا أحد روّاده المعاصرين. وقد قدّم تعريفًا بليغًا للأدب الإسلامي حين قال:"هو التعبير الفني، الذي يهدف إلى تصوير الحياة والكون والإنسان، بناءً على التصوّر الإسلامي لله عزّ وجلّ ولجميع المخلوقات في هذا الوجود".

ويقصد العشماوي بالتصور الإسلامي: النظرة الشاملة والعميقة التي ينظر بها الأديب المسلم إلى ما يجري حوله، رؤيةً تستند إلى الإيمان وتغتني بالتأمل والتدبّر، فيكتشف من خلالها الأديب نوافذ مفتوحة على الدارين، الدنيوية والأخروية، مستنيرة بنقاء روحه وشفافيتها التي يستمدها من صدق انتمائه إلى الإسلام، حيث يعبّر القرآن الكريم عن هذا السموّ في قوله تعالى:

﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[xiii]

هذه الآية تُبرز قيمة الإيمان والعلم في الإسلام، وتُبيّن أن الله تعالى يرفع منزلة الذين يجمعون بين الإيمان القلبي والعلم العقلي، ويجعل لهم مكانة رفيعة في الدنيا والآخرة. فالإيمان يُزكّي النفس، والعلم يُنير العقل، ومتى اجتمعا، رُفع صاحبهما درجات عند الله وبين الناس.

في ضوء الأدب الإسلامي، يُعد هذا المبدأ توجيهًا مباشرًا للأدباء والشعراء بأن المكانة الحقيقية في الأمة لا تُنال بالشهرة أو الزخرف اللفظي، بل بالصدق الإيماني والعلم الراسخ. فالأديب المسلم لا يسعى فقط لإبداع الشكل، بل يحمل رسالة، ويغذّي الناس بالقيم، ويستند إلى علم يُثبّت معاني الحق.

وقد عبّر محمد إقبال عن هذا المعنى في شعره، حيث ربط بين الروح المؤمنة والعقل المتعلم، مؤكدًا أن النهضة لا تقوم إلا بهذين الركنين.

وفي وقتٍ كانت فيه الهويّة الأدبية تتعرّض للتشويش تحت تأثير تيارات فكرية مثل القومية والماركسيةوالوطنية، برز العشماوي بمنهج متماسك مرتبط بالإسلام، فتألّق شعره بحمل رسالةٍ ذات بُعد عقدي وأخلاقي. وقد نال بذلك تقدير عدد من العلماء والمفكرينمنهم: الشيخ عبد العزيز بن باز[xiv] رحمه الله ،والعلامة أبو الحسن الندوي ، رحمه الله، مؤسس رابطة الأدب الإسلامي العالمية،وأيضاً الشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري[xv]، رحمه الله تعالى.حيث شهدوا جميعًا لقوة منهجه ونبل رسالته[xvi].

تستمد جذور الأدب الإسلامي الصوفي قوتها الأساسية من المصادر الرئيسة، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إضافةً إلى ما ورد عن الصحابة من أقوال وأفعال تعكس سموّ الأخلاق ورقيّ السلوك. وقد شكلت هذه المصادر الركيزة التي انطلق منها الأدب الصوفي في نشأته، غير أن هذا الأدب تأثر لاحقًا ببعض التيارات الفلسفية والفكرية خلال العصر العباسي، مما أدى إلى انحراف بعض مفاهيمه عن المنهج الإسلامي الوسطي المعتدل. تجلّت هذه الانحرافات في تبني مفاهيم مثل "الحلول والاتحاد" و"وحدة الوجود"، والتي تتعارض مع مبادئ الاعتدال والتوازن التي دعا إليها الإسلام. ويؤكد النص القرآني والسنة النبوية على ضرورة امتلاك القوة والعزة للمؤمنين، ورفض الذل والضعف، لما فيه من صون للكرامة والتمكين للمجتمع الإسلامي. يقول **الله تعالى:**

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[xvii]

ويؤكد الحديث الشريف على فضل المؤمن القوي، **قال رسولُ اللهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌوَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»**[xviii]..

كما يشير القرآن إلى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وليس للضعفاء أو المنافقين لقوله تعالى:

(يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[xix].

ويُعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في العلم الرباني والسلوك القويم، حيث تمثل سيرته وأقواله وهديه أعلى مراتب المعرفة الروحية، وكذلك كان حال أصحابه الكرام الذين بلغوا ذروة السمو الروحي. وعليه، فإن القرآن الكريم أولاً، ثم الحديث الشريف، يليهما ما نقل عن الصحابة من أخلاق سامية، هي المصادر التي يجب أن يستقي منها الأدب الإسلامي الصوفي، مع التنبه لعدم الخروج عن منهج الاعتدال الذي دعا إليه الإسلام[xx].

شهد الأدب الإسلامي في السنوات الأخيرة حضورًا متناميًا في المشهد الثقافي المعاصر، متميّزًا عن غيره بما يحمله من مضامين فكرية وروحية مستمدة من التصور الإسلامي للوجود والحياة. فلم يعد محصورًا في القوالب التعبيرية التقليدية كالقصة أو الشعر بمعناهما الشكلي، بل تجاوز ذلك إلى كونه أداة راقية لتجسيد القيم الإسلامية، والتعبير عن هموم الإنسان من منظور عقدي وأخلاقي أصيل. وبرغم تفاوت المستوى الفني بين نتاجات هذا التيار، فإن التحوّل الملحوظ يتمثل في وعي كثير من الكتّاب بأهمية الرسالة، وتقديمهم لأعمال أدبية واعية تتجاوز الغرض الجمالي إلى الغرض الرسالي. وقد أشار الدكتور

عبد الباسط بدر [xxi]إلى العديد من النماذج الأدبية التي اتّخذت من الإسلام إطارًا مرجعيًا، مما يدل على أن ما نشهده اليوم ليس مجرد حراك عابر، بل هو حركة ثقافية ناضجة تسعى إلى التميز في المضمون والشكل، ضمن رؤية إسلامية شاملة.

وفي هذا السياق، تواجه الساحة الأدبية تحديًا دقيقًا في التعامل مع المناهج والنظريات الأدبية الغربية الحديثة، إذ تنقسم المواقف تجاهها إلى ثلاثة اتجاهات رئيسة:

الأول، موقف الرافضين تمامًا: الذين يرون في هذه المناهج خطرًا على الهوية الإسلامية، ويُحذّرون من تسرب القيم الغربية إلى أدبنا المحلي. الثاني، موقف المنبهرين الذين يتبنون الفكر الغربي دون تمحيص، ظنًا أن النهضة الأدبية لا تتحقق إلا بمحاكاة الغرب. أما الاتجاه الثالث، وهو الأوفق، فهو موقف الاعتدال والتمييز، حيث تتم دراسة المناهج الغربية دراسة ناقدة، يُؤخذ منها ما يتوافق مع قيمنا ويُرفض ما يُخالفها، بل ويُطوَّر ما يُستفاد منه ليخدم رؤيتنا الإسلامية ويعبر عن هويتنا الثقافية.

إن التوازن في هذا السياق هو المفتاح الحقيقي للتميّز؛ فلا انغلاق يحرمنا من الاستفادة، ولا ذوبان يُفقدنا هويتنا. وإنما هو منهج نقدي راشد، يستبصر بالتراث ويستوعب المعاصرة، ليؤسس لأدبٍ إسلامي معاصر، متجدد الجذور، متين البناء[xxii].

لا يُعدّ الأدب الإسلامي هو الشكل الوحيد للتعبير عن الإسلام، إذ يمكن لأي شخص أن يكتب عن القيم الإسلامية أو يتناول موضوعات دينية، سواء كان شاعرًا أم لا. غير أن ما يُميز الشاعر الإسلامي الحقيقي، هو أنه لا يكتب عن الإسلام من خارجه أو كمجرد موضوع، بل ينبع تعبيره من إيمان داخلي ورؤية روحية عميقة تتجلى في تجربته الأدبية. فالشاعر الإسلامي يُعبّر عن الإسلام تعبيرًا حيًّا نابعًا من وجدانه، ويعكس في شعره قيمًا أخلاقية ومعاني إيمانية ترتبط بالتصور القرآني للإنسان والكون والحياة. وعند الحديث عن الأدب الإسلامي، لا بد أولًا من تحديد الإطار النظري الذي ينطلق منه، سواء من حيث الرؤية الفكرية أو الشكل الفني. فليس الأدب الإسلامي مجرد التزام بالشكل أو اللغة، بل هو قبل ذلك وبعده رؤية متكاملة تعبر عن العقيدة الإسلامية في مضمونها، وتُجسِّدها من خلال البناء الفني الرفيع.

ويُعد الشاعر محمد إقبال مثالًا واضحًا لهذا النموذج؛ فهو لم يكن شاعرًا عاديًا يتحدث عن الإسلام، بل كان مفكرًا يحمل رؤية إسلامية متكاملة، استطاع أن يصوغها شعرًا بلغة مؤثرة وعميقة. ومن هنا، فإن قراءة شعره ينبغي أن تتم ضمن هذا الإطار الفكري والروحي، لا باعتباره مجرّد كلمات حماسية أو مديحًا تقليديًا. لقد أصبح للأدب الإسلامي اليوم دور أساسي في تشكيل وعي الإنسان المسلم، خاصة في ظل التحديات الفكرية والثقافية التي يشهدها العصر الحديث. وعلى الرغم من تنوّع الآراء حول مفهوم هذا الأدب، فإن الغالبية تتفق على أنه أدب نابع من الإيمان بالله، ويعبّر عن الالتزام الأخلاقي والروحي، ويهدف إلى البناء والتزكية، لا إلى الإثارة أو الاستعراض. وقد وُصف الأدب الإسلامي بأنه "تعبير نابع من داخل الإنسان المسلم، المرتبط بالقرآن الكريم، والمتعامل مع قضايا الحياة والكون والإنسان من منظور إيماني". وعرّفه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا بأنه: "التعبير الفني الذي يصوّر واقع الحياة والكون والإنسان من وجهة نظر إسلامية، ويهدف إلى خدمة الخير والجمال، ويتفاعل مع الوجدان الإنساني". ومن هنا، يتضح أن الأدب الإسلامي ليس أدبًا وعظيًا جامدًا، بل هو أدب حيّ يتناول قضايا الإنسان بعمق، ويعالج الواقع من خلال رؤية إصلاحية تنبع من العقيدة الإسلامية، وتسعى لتهذيب النفس وبناء المجتمع[xxiii].

من بين أبرز المفكرين الذين أولوا العلاقة بين الشكل والمضمون في الأدب الإسلامي اهتمامًا خاصًّا، يبرز الدكتور نجيب الكيلاني، الذي أشار إلى أن كثيرًا من الدارسين سعوا إلى تحليل العمل الأدبي من خلال ثنائية المضمون والشكل. ورغم أن الفصل بينهما أمر بالغ الصعوبة، بل قد يبدو مفتعلًا أحيانًا، إلا أن هذا التصور ظل ضروريًّا في بعض السياقات، خاصة حين يتعلق الأمر بتحليل القضايا الأدبية المركبة. ويُعزى هذا الاتجاه إلى تأثير الفلسفات القديمة، التي اعتادت تفكيك الظواهر وتصنيفها بغية الوصول إلى فهم أدق وأعمق[xxiv]. يُنظر إلى الأدب الإسلامي من زاويتين متكاملتين: زاوية المضمون وزاوية الشكل.

فالمضمون يتعلّق بالرسائل الفكرية والقيم الدينية التي يحملها النص، من دعوة إلى التوحيد، وإعلاء للفضيلة، وتوجيه إلى معاني الخير والصلاح. أمّا الشكل، فيتّصل بالأسلوب الفني الذي تُعرض به هذه القيم، من حيث اللغة والصور والرمز والبنية الإبداعية.

ويُخيّل في بادئ الأمر أن تأمّل المضمون أمر يسير، إذ يركّز القارئ غالبًا على الفكرة أو الرسالة التي يُراد إيصالها. غير أن الوقوف عند الشكل – أي كيفية تقديم هذه الرسالة – يكشف عن بُعد جماليّ لا يقلّ أهمية عن المحتوى ذاته. وهذا ما عبّرت عنه الآية الكريمة:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[xxv]

ففيها دلالة على أن القرآن – وهو النموذج الأعلى للأدب الإسلامي – يجمع بين روعة المضمون وإعجاز الشكل، بما يحدث أثرًا عميقًا في المتلقّي.

يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأساسي الذي يستمدّ منه الأدب الإسلامي خصائصه ومضمونه، فقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾، أي أن الله أنزل أصدق وأبلغ ما يُقال ويُروى، وهو كلام لا يضاهيه حديث في صدقه وبلاغته، ثم قال: ﴿**كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ**﴾، أي أن آياته يشبه بعضها بعضًا في الجمال والدقة، ويُكرر فيه المعنى بأساليب مختلفة لزيادة التثبيت والتأثير. ويضيف: ﴿**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**﴾، أي أن المؤمنين إذا سمعوه ترتعد جلودهم خشية وتعظيمًا لله. فهذه السمات الجمالية والوجدانية تُبيّن كيف يُغذّي القرآن الحس الأدبي في الإسلام، ويجعل من الأدب وسيلة للإصلاح والتهذيب، لا مجرد ترف لغوي أو تسلية سطحية.

توضيح لأجلِ القارىء (يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأساس الذي يتغذّى منه الأدب الإسلامي في مضمونه وأسلوبه، وذلك من خلال عدّة جوانب:

أولًا، يوفّر القرآن مادة غنية من القيم والمبادئ كالتوحيد، والعدل، والصبر، والرحمة، وهي مضامين جوهرية في الأعمال الأدبية ذات الطابع الإسلامي.

ثانيًا، يتميّز القرآن بأسلوب بلاغي راقٍ يجمع بين الإيجاز والعمق، والتكرار الجمالي، والتصوير الفني، مما يجعل الأدباء المسلمين يتأثرون بأسلوبه في التعبير.

ثالثًا، القرآن يحفّز على التفكر والتأمل في النفس والكون والحياة، وهو ما يظهر جليًّا في الشعر الإسلامي الذي يسعى لتزكية النفس وبناء الوعي الإيماني، كما في شعر محمد إقبال وغيره من روّاد هذا الاتجاه.

ويؤكّد هذا الفهم الدكتور هاني إسماعيل رمضان[xxvi] في دراسته عن أدب إقبال، إذ يرى أن "الأدب الإسلامي ليس مجرّد وعاء للموعظة، بل هو تركيب فنيّ تتّسق فيه الفكرة مع الصورة، ويتجلّى فيه الجمال بوصفه وسيلة للإقناع والتأثير". ومن هنا، يتأكّد أن فهم الأدب الإسلامي لا يتحقّق من خلال المحتوى فحسب، بل يتطلّب تدبّرًا في القالب الذي يُقدّم فيه، أي الشكل الأدبي وأبعاده الجمالية[xxvii].

بدأ نجيب الكيلاني اهتمامه بالأدب الإسلامي في مرحلة مبكرة من مسيرته الفكرية، ويُعدّ كتابه "الإسلام والمذاهب الأدبية" من المؤلفات الرائدة التي سعت إلى وضع أسس نظرية متكاملة للأدب الإسلامي.

وقد أشار الكيلاني في مقدمة هذا الكتاب إلى أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد كتاب "منهج الفن الإسلامي" لمحمد قطب[xxviii] الذي اضطلع بدورٍ مهمّ في إثراء الدراسات الإسلامية، وأسدى خدمة كبيرة للفن من منظور ديني، فكان لطرحه تأثيرٌ بالغ في رسم معالم التصور الإسلامي للفن والأدب[xxix].

يُعدّ الأدب وسيلة فنية راقية تمكّن الإنسان من النفاذ إلى أعماق الحياة وفهم ظواهرها بطريقة غير مباشرة، تحمل في طياتها بعدًا شعوريًا ومعنويًا يتجاوز حدود الإدراك العقلي المباشر. فحين تتعذّر قراءة مظاهر الواقع كما هي، يتدخل الأدب ليقدّمها بأسلوب يعكس الحقيقة ويستثير وجدان المتلقي، مما يجعل من العمل الأدبي مرآة حية لمختلف التجارب الإنسانية. ويتميّز الأدب باتساعه واتساع مظاهر الحياة، حيث يستطيع القارئ أو السامع أن يطّلع عبره على حيوات السابقين، وأحوال الشعوب في أزمنة وأمكنة متباعدة، مما يمنح الأدب قوة فريدة في نقل التجربة البشرية عبر الزمن.

أما في السياق الإسلامي، فقد اقترنت اللغة العربية بالأدب ارتباطًا وثيقًا، وامتازت بقدرتها على التعبير عن مضامين الرسالة الإسلامية. فاللغة العربية، التي تُعدّ من أغنى اللغات أدبًا وأطولها عمرًا، لم تنقطع عنها الفصاحة ولا الإبداع، بل ازدهرت وتألّقت بحملها لمعاني الإسلام وأهدافه[xxx].

فقد شكّل الإسلام قوة دافعة للأدب العربي، وجعله وسيلة لبيان تعاليمه وتبليغ رسالته، وكان النبي محمد ﷺ خير مثال في استخدام اللغة العربية ببلاغة تُبيّن عظمة الإسلام وعمق معانيه[xxxi].

وفي هذا الإطار، يتجلّى تأثير الأدب الإسلامي العربي في أعمال الشعراء غير العرب، ومن أبرزهم الشاعر والفيلسوف محمد إقبال، الذي مثّل حلقة وصل بين القيم الإسلامية والبيئة الأردوية. ففي ديوانه الشهير "أرمغان حجاز"، يظهر هذا التأثر جليًا، حيث تتداخل القيم الروحية الإسلامية مع الأساليب الفنية المستقاة من التراث العربي[xxxii].

ويُعدّ هذا التمازج ثمرة لتفاعل محمد إقبال العميق مع الأدب العربي في بُعده الإسلامي، حيث لم يكن تواصله مع التراث العربي تواصلاً لغويًّا سطحيًّا، بل انغماسًا وجدانيًّا في روح الأدب الإسلامي الذي ينهض على الدعوة إلى التوحيد، وتزكية النفس، وبعث الأمة من غفلتها. لقد استلهم إقبال من هذا الأدب مقاصده الكبرى: من التبشير بالقيم، إلى مقاومة الانحطاط، فحمل شعرًيا مشعل الرسالة الإصلاحية التي اضطلع بها الأدب الإسلامي عبر العصور، ثم أعاد صوغها بلغة أردوية تنبض بحرارة الإيمان وهمّ الأمة.

ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى تتبّع مظاهر التأثر بالإرث الأدبي الإسلامي العربي في شعر إقبال، متخذًا من ديوان "أرمغان حجاز" نموذجًا تحليليًا يُبرز هذا الامتزاج، ويكشف عن الأبعاد الجمالية والفكرية التي شكّلت رؤيته الشعرية، ورسّخت خطابه بوصفه امتدادًا حيًّا لرسالة الأدب الإسلامي.

تأثرمُحمد إقبال من الأدب الإسلامي

و الآن ، نسلط الضوء على جانب مهم من تجربة محمد إقبال الأدبية والفكرية، وهو تأثره العميق بالأدب الإسلامي، الذي شكل جزءًا رئيسيًا من رؤيته الشعرية والفكرية. يتناول هذا الفصل تحليل هذا التأثير عبر دراسة ديوان "أرمغان حجاز" كنموذج رئيسي يعكس التفاعل الحيوي بين إقبال والتراث الإسلامي. فهذا الديوان يمثل ذروة التجربة الشعرية لإقبال، حيث يتجلى فيه الوعي الإسلامي بشكل واضح من خلال المواضيع والمفردات والأسلوب، مما يجعل منه مرآة تعكس العلاقة بين الفكر الإسلامي والحداثة في شعره (تجاه فكري وأدبي معاصر يسعى إلى تجديد المفاهيم والأساليب في التعبير الأدبي، والانفتاح على قضايا الإنسان الحديث، كالحرية، والعدالة، والهوية، والتغيير الاجتماعي والسياسي)، و"الحداثة" عند إقبال تعني أن يعيش المسلم عصره بروح الإسلام، لا أن يتخلف عنه باسم التقاليد.إضافة إلى ذلك، يعرض الفصل دراسة شاملة للدراسات السابقة التي تناولت علاقة إقبال بالأدب الإسلامي، مع تسليط الضوء على أهم الملاحظات والنقاشات التي أثارها الباحثون، مما يساعد في فهم مكامن القوة والفرص البحثية المتبقية في هذا المجال. من خلال هذه الدراسة المزدوجة، يتضح كيف أن الأدب الإسلامي لم يكن فقط مصدر إلهام لإقبال، بل أيضًا أداة لفهم ذاته وأمته، وإعادة بناء الرؤية الثقافية في عصره. هذا التحليل يعكس الرغبة في فهم كيف استطاع إقبال أن يدمج بين التراث الإسلامي والحداثة الفكرية في سياق أدبي متميز، وما الدور الذي لعبته الدراسات الأكاديمية في توثيق هذا المسار وتقييمه.

ويُصور هذا الولاء كقوة تمنح الإنسان السيادة على العالم والقدَر انسجامًا،مستلهمًا من قوله تعالى:

{إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[xxxiii]

إذ يجعل الحب النبوي طريقًا لنيل القرب الإلهي،فالمحبّة هنا ليست عاطفة مجردة، بل منهج حياة يجعل صاحبه موضع استخلاف وقدرة.

وفي هذه الآية يخاطب الله تعالى المؤمنين، مُبينًا أن الطريق إلى محبة الله لا يتحقق إلا باتباع النبي محمد ﷺ. فالمحبة الحقيقية لله ليست شعارات ولا مشاعر مجردة، بل طاعة وسلوك عملي يترجمه الاتّباع الصادق للرسول. هذه الآية تعتبر من الآيات المحورية في الفكر الإسلامي، وقد استلهم منها إقبال رؤيته حول مركزية السيرة النبوية في بناء الذات المسلمة الفاعلة.

وفي موضع آخر، يُبيّن إقبال أن قوة العشق الصادق للنبي ﷺ قادرة على تحويل المستضعف إلى قائد، وعلى نشر النور في العالم، فيُكمل إقبال خطابه النبوي-النهضوي بقوله:

قوتِ عشق سے ہر پست کو بالا کر دے

دہر میں اسمِ محمدؐ سے اُجالا کر دے[xxxiv]

"ارفعْ كلَّ من سُحقوا بقوة العشق، وانشرْ في الدنيا نورَ اسمِ محمد ﷺ" أي:

محمد إقبال يرى أن حب النبي ﷺ ليس شعورًا عاطفيًا فقط، بل هو قوة دافعة تغير الإنسان وتنهض بالأمم. ومن خلال هذا الحب، يمكن للضعيف أن يصبح قويًا، وللمجتمع أن يخرج من الظلام إلى النور.

الحب الصادق للنبي ﷺ هو طاقة نهوض تُحرر الإنسان من الذلّ، ويصبح بها حاملًا للنور والهداية في العالم.وهذا تصوير بليغ لقوة المحبة الإيمانية، حيث يجعل من العشق النبوي طاقة ثورية ترفع المستضعفين وتنشر الهداية،ويُشير هذا المعنى إلى مركزية "النور المحمدي" في إحياء الأمة، اقتباسًا من البُعد القرآني. خلاصة المعنى من هذا البيت "اجعل حبك الصادق للنبي ﷺ سببًا في أن ترتقي بنفسك من الضعف إلى القوة، وأن تنشر النور في العالم من خلال اسمه وسيرته العطرة".

فيضوء قوله تعالى:

{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [xxxv].

إذا قُمنا بشرح هذه الآيه الكريمه بمفهومنا نحن فسنقول:بأن اللهعز وجل يُخبر نبيَّه الكريم بأنه رفع ذكره في العالمين، فلا يُذكر اسم الله إلا ويُقرن به اسم نبيه محمد ﷺ، كما في الأذان، والتشهد، والخطب، هذه الآية تشير إلى الكرامة والمقام الرفيع للنبي ﷺ، وقد استلهم منها إقبال فكرة أن "اسم محمد" هو نور وهداية تُضيء حياة البشرية، وهي دعوة إلى الاقتداء به لا مجرد تعظيمه.

وقوله تعالى أيضاً:{قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ} [xxxvi]

تتحدث هذه الآية عن النور الإلهي الذي أُنزِل على البشر، ويُقصد به الرسول محمد ﷺ والقرآن الكريم. فالنور هنا هو الهداية التي تضيء طريق الإنسان نحو الحق، وقد استخدم إقبال هذا المعنى في شعره حين ربط بين "اسم محمد" و"النور"، واعتبر أن العالم بحاجة إلى هذا النور للخروج من ظلمات الجهل والانقسام.

وهكذا يصبح اسم النبي ﷺ رمزًا للنور والبشارة في العالم.

وينتقد الشاعر أولئك المنعزلين عن قضايا التغيير، ويرى أن الشعر الإسلامي الحق لا يخاطب الكسالى، بل أولئك الذين يستجيبون لصوت النهضة. ويأتي هذا المعنى متّسقًا مع قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ}[xxxvii]

هذه الآيه الكريمة تحمل رسالة مهمة تفيد بأن الله سبحانه وتعالى لا يغير حال أي أمة أو شعب من سوء إلى خير حتى يبدأ أفراد تلك الأمة بتغيير أنفسهم. بمعنى آخر، التغيير الحقيقي يبدأ من الداخل، من النفس والسلوك الشخصي، فلا يمكن انتظار تحسن الأحوال بمجرد التمني أو الاعتماد على الآخرين، بل لابد من الاجتهاد والعمل على الإصلاح الذاتي ليشمل المجتمع بأكمله، فالتغيير يبدأ بالفرد ثم يمتد ليشمل الجماعة، مما يعكس حكمة ربانية تشجع على المبادرة والمسؤولية الشخصية في تحقيق الإصلاح والتقدم. لذا حلاصة هذه الآية هي أنها تُقرر قانونًا إلهيًا في التغيير الاجتماعي والتاريخي، ومفاده أن التحول لا يبدأ من الخارج، بل من الداخل: من النية، والإرادة، والسلوك. وإقبال كان شديد التأثر بهذه الفكرةو بهذه القاعدة القرآنية، فبنى عليها جزءًا كبيرًا من مشروعه الفكري، مؤمنًا بأن نهضة الأمة لا يمكن أن تتحقق إلا بإصلاح النفس وتحرير الإرادة، وأن الإنسان لا يُمنح القوة أو التمكين إلا إذا استحقها داخليًا، عبر مجاهدة ذاته، وتهذيب دوافعه، والسمو بأهدافه. ولهذا، فإن أدبه يحمل بعدًا أخلاقيًا توجيهيًا واضحًا، يُعلي من شأن الوعي الذاتي، ويدعو إلى استنهاض القوى

الكامنة في الإنسان المسلم. وهذا الانسجام بين الرؤية القرآنية ومفهوم الأدب عند إقبال، يضعه ضمن أهم رموز الأدب الإسلامي المعاصر الذين سعوا لإحياء دور الإنسان الفاعل في ضوء الوحي.

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ}[xxxviii]،

فإقبال يُفعّل المفهوم القرآني للعمل والنهضة ضمن بنية شعرية رسالية.

وبذلك، يتضح أن الأدب الإسلامي لم يكن لإقبال مصدر إلهام فحسب، بل أداة لفهم الذات، وتفعيل الإرادة، وإعادة تشكيل الهوية الإسلامية في وجه التحديات الحديثة. كما يعرض هذا الفصل أبرز الدراسات السابقة التي تناولت هذا التفاعل بين إقبال والتراث الإسلامي، مُبرِزًا الملاحظات التي أثارها الباحثون، والفراغات البحثية التي يمكن أن تُثري هذا الميدان مستقبلًا. إن دمج إقبال بين التراث والحداثة في بنية شعرية وفكرية متكاملة، يُعدّ إنجازًا أدبيًا وفكريًا يستحق المزيد من الدراسة والتأمل، خاصةً في ضوء ما قدمته الدراسات الأكاديمية من رؤى وتحليلات في هذا المجال.

كان محمد إقبال يؤمن أن الأدب الإسلامي ليس مجرد كلمات جميلة أو مشاعر عابرة، بل هو وسيلة قوية لإيقاظ الأمة من غفلتها، وبثّ الحياة في قلوبها من جديدوداعيًا إلى يقظة الضمير واستنهاض الوعي. فالشعر عنده ليس ترفًا، بل دعوة حقيقية إلى اليقظة والوعي والعمل. ولذلك نجده كثيرًا ما يُركّز في شعره على فكرة "الصحوة" و"النور" و"بناء الذات"، ويستخدم الأدب كوسيلة لتوصيل هذه القيم إلى الأمة.إذ رأى إقبال أن يقظة الأُمّة شرطٌ للنهوض، ومفتاحٌ للخروج من دوائر اليأس والتخاذل، وأن بثّ الأمل واستنهاض العزائم هو السبيل لإعادة بناء الذات الإسلامية[xxxix].

يقول مُحمد إقبال:

آتی ہے دمِ صبح صدا عرشِ بریں سے کھویا گیا کس طرح ترا جوہرِ ادراک![xl]

ترجمة البيت إلى العربية:

عند انبلاج الفجر، يُسمع نداء من العرش الأعلى
كيف ضاع منك جوهرُ الإدراك؟!
في هذا البيت، يستخدم محمد إقبال أسلوبًا بلاغيًا يجمع بين الرمزية الصوفية والنداء الوجودي، ليوقظ وعي الإنسان المسلم ويحثه على التأمل في حاله، خاصة من حيث فقدان البصيرة والوعي الروحي

"آتی ہے دمِ صبح صدا عرشِ بریں سے (عندالفجريُسمعنداءمنالعرشالأعلى)

الفجر هنا رمز لبداية جديدة، وانبثاق الضوء بعد الظلمة، و"العرش" يرمز إلى العالم العلوي والمصدر الإلهي للحقائق. وهذا يوحي بأن هناك نداءً سماويًا، نداءً من الغيب، يطرق مسامع الوجود كل صباح، ليوقظ الإنسان من غفلته.

کھویا گیا کس طرح ترا جوہرِ ادراک: (كيف ضاع منك جوهرُالإدراك؟)

إقبال يتعجب ويُعاتب الإنسان المسلم: أين ذهبت قدرتك على الفهم، على الإدراك، على رؤية الحقيقة؟

"جوهر الإدراك" هنا يعني القدرة الفطرية على التفكر، والبصيرة، والتمييز بين الحق والباطل، وهي الهبة التي ميّز الله بها الإنسان.

لكن هذا الإدراك قد ضاع، ليس لأنه أُخذ منه قهرًا، بل لأنه أهمله، وغرق في الغفلة، وابتعد عن مصدر الهداية.يعكس هذا البيت حالة من القلق الوجودي والتساؤل العميق حول فقدان الإنسان المسلم لطاقته الإدراكية الفطرية، التي خُلق بها ليتأمل، ويتفكر، ويتفاعل مع نداء الوحي. فالفجر، بصفائه وبداياته، يُصوَّر في شعر إقبال لحظةً روحية تتجلى فيها الأصوات الإلهية التي تخاطب الإنسان وتوقظه من غفلته. أما "جوهر الإدراك" فهو رمز للعقل المستنير بنور الإيمان، والعين البصيرة التي ترى ما وراء الظواهر، وهي تلك الملكة التي تعطّلت عند كثير من أبناء الأمة، نتيجةً للركون إلى التقليد، والغفلة، والانفصال عن مصدر الوحي.

إن هذا البيت لا يُقرأ كقطعة جمالية، بل كصرخة وجودية، تشكّل لبّ رسالة الأدب الإسلامي كما يفهمها إقبال: أدبٌ يوقظ، وينبه، ويحثّ الإنسان على استعادة إنسانيته وفاعليته، من خلال الإصغاء إلى نداء السماء، والرجوع إلى جوهر الفطرة، والتفكر في آيات الله الكونية والقرآنية. وبهذا المعنى، يصبح الأدب عند إقبال وسيلةً للتزكية والتنوير، لا للزينة والتسلية.

ولو تتبعنا أشعار إقبال بحثًا عن بيتٍ يُجسّد وعي الأمة ويدعوها للانتباه من غفلتها العميقة، لوجدنا في هذا البيت صوتًا أكثر إيقاظًا وتأثيرًا في وجدان القارئ.

يقول الشاعر:

اب تک ہے رواں گرچہ لہو تیری رگوں میں نے گرمی افکار، نہ اندیشہ بے باک[xli]

ترجمة البيت:

لا يزال دمك يجري في عروقك حتى الآن، لكنك لم تُشعل حرارة الفكر، ولا مخاوف الجرأة

أي: "لا يزال دمك يجري في عروقك، لكنك لم تُشعل حرارة الفكر، ولا امتلكت الجرأة الجريئة في التفكير"

المُعنى الكامل للبيت هو، يقول إقبال:

أنت ما زلت حيًّا، لأن الدم يجري في عروقك، لكن هذه الحياة مجرّد حياة جسدية بلا معنى، لأنك لا تُفكّر بعمق، ولا تمتلك الشجاعة في أفكارك. حياتك ينقصها الحماس العقلي والجرأة الفكرية.

فالرسالة التي أراد إقبال إيصالها هي:أن محمد إقبال ينتقد المسلم الذي يعيش بجسده فقط، بينما عقله خامد، وأفكاره ضعيفة أو تقليدية، يخاف من التفكير الحر، ولا يُبدع أو يُجدد. إنه يقول إن الحياة الحقيقية ليست في القلب النابض فقط، بل في العقل المتقد (المشتعل أو المتوهّج) ، والروح التي تُفكر بشجاعة.

ومن خلال هذان الأبيات وغيرهما، يتضح لنا أن فلسفة إقبال في الشعر هي فلسفة إسلامية تهدف إلى إزالة الظلمة من القلوب، وبعث النور والوعي في حياة المسلمين، وتشجيعهم على النهوض والعمل والأمل.

أولى العلّامة محمد إقبال اهتمامًا بالغًا بفكرة إحياء الروح الإسلامية في جسد الأُمّة، محذرًا من الغفلة والركود، وداعيًا إلى يقظة الضمير واستنهاض الوعي. وقد جسّد هذه الدعوة في شعره، حيث لم تكن مجرّد نداء عابر، بل مكوّنًا أساسيًا في رؤيته الفكرية والأدبية. إذ رأى إقبال أن يقظة الأُمّة شرطٌ للنهوض، ومفتاحٌ للخروج من دوائر اليأس والتخاذل، وأن بثّ الأمل واستنهاض العزائم هو السبيل لإعادة بناء الذات الإسلامية.

لقد تأثر الأدب الأردوي تأثرًا كبيرًا بالأدب العربي والإسلامي، وكان لهذا التأثير أثر واضح في نتاج كثير من الشعراء، وعلى رأسهم الشاعر محمد إقبال، الذي يُعد من أبرز أعلام القرن العشرين. فقد تميز إقبال بشعره العميق الذي مزج فيه بين الفلسفة والدين والروح، إلى جانب كونه أديبًا ومفكرًا ومحاميًا وسياسيًا لعب دورًا مهمًا في الدعوة إلى استقلال المسلمين وتأسيس دولة باكستان.

ويتجلى في شعر إقبال تأثره الكبير بالقرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ، إذ يظهر فيه الطابع الإسلامي والعربي بوضوح، الأمر الذي جعل من شعره وسيلة لإيقاظ الوعي الإسلامي في قلوب المسلمين، خاصة في شبه القارة الهندية. وقد استطاع من خلال قصائده أن يعبر عن أفكار ومفاهيم الأدب الإسلامي بلغة شعرية مؤثرة، فكان شعره ليس مجرد كلمات، بل دعوة حقيقية للنهوض، وبناء الذات، وتحقيق الاستقلال الفكري والسياسي. ولهذا، لا يزال إقبال يُعد مصدر إلهام للكتّاب والشعراء الذين يسيرون في طريق الأدب العربي والإسلامي حتى يومنا هذا[xlii].

منذ سنوات طفولته الأولى، تفتحت لدى محمد إقبال بوادر عشقٍ للأدب العربي والإسلامي، حيث شكّلت هذه الميول النواة الأولى لتكوينه الثقافي والفكري. وقد لعب أستاذه العلّامة شمس العلماء سيد مير حسن دورًا محوريًا في صقل هذا الميل، إذ كان أحد أبرز العلماء الذين تفرغوا لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في تلك الحقبة. تلقى إقبال على يديه دروسًا معمقة في اللغة العربية، فتشرّب مفرداتها وتذوّق بلاغتها، مما أسّس لديه قاعدة راسخة في فهم النصوص الإسلامية، ولا سيما القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وقد أثنى الشيخ عبد القادر، في مقدمة ديوان بانك درا، على منهج سيد مير حسن[xliii] التربوي، مبرزًا تفرّده في إيقاظ الحماسة الأدبية لدى طلابه، وإثارة الدهشة في نفوسهم تجاه ثراء اللغتين الفارسية والعربية، فضلًا عن ترسيخ احترامهم لتراثهما الحضاري.

ولا شك أن هذا الانغماس المبكر في اللغة العربية وأدبها قد ساهم في تشكيل وعي إقبال الثقافي، وكان له أثر عميق في توجهاته الفكرية والأدبية لاحقًا. فقد أصبحت اللغة العربية بالنسبة له أكثر من مجرد وسيلة تعبير؛ بل جسّدت له مظهرًا من مظاهر الروح الإسلامية الخالدة، ومصدرًا خصبًا للمعاني القيمية والوجدانية التي تغذت بها روحه. ولهذا، نجد صدى هذا التأثر جليًا في كثير من أشعاره التي تعكس انبهاره بجمال العربية وروحانيتها، وحرصه على بعث رسائل فكرية وأخلاقية مستمدة من معين الأدب الإسلامي، وهو ما أولته العديد من الدراسات اهتمامًا خاصًا عند تناولها لسيرته وشعره[xliv].

من خلال دراستي التحليلية لديوان أرمغان حجاز للشاعر والفيلسوف محمد إقبال، كما ترجمه إلى العربية الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، تبيّن لي أن إقبال تأثر تأثرًا بالغًا بالأدب الإسلامي ومبادئه الأصيلة. وقد انعكس هذا التأثر في معظم قصائد الديوان، حيث نجد أن كل بيتٍ شعري يكاد ينطق بإحدى سمات هذا الأدب، التي تتنوع بين الحرية، والاتحاد، والعدل والمساواة، والشجاعة، والإحسان، والغائية، والالتزام بالعقيدة الإسلامية، وغيرها من القيم التي حث عليها الإسلام .

وإنّ الأدب الإسلامي لا ينفصل عن روح القرآن الكريم، بل يُعدّ امتدادًا لقيمه وتوجهاته، ومن ذلك قوله تعالى:

{وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}[xlv]

ففيها دعوة واضحة إلى الإعداد الشامل بمفهومه الواسع، لا إعداد السلاح فقط، بل أيضًا إعداد الوعي، والعقل، والروح، وكل عناصر القوة التي تجعل الأمة قادرة على حماية عقيدتها ومكانتها. وقد استلهم محمد إقبال هذا المعنى في شعره حين وجّه خطابه إلى الأمة الغافلة، داعيًا إلى يقظة فكرية وروحية تُعيد للأمة فاعليتها. إن إقبال لا يرى أن النهوض يكون بالعنف، بل بتجديد الفكر، وبناء الذات، وإحياء الإرادة في الإنسان المسلم. ولذا، فإن الأدب عنده وسيلة لـ"إعداد القوة" بالمعنى القرآني، لأنه يُوقظ المشاعر، ويُحرّك العقول، ويبعث في النفس حرارة الإيمان والعزم على التغيير.

لقد أكثر إقبال من الدعوة إلى الحرية، معتبرًا إياها شرطًا أساسيًا لنهضة الأمة، كما دعا إلى الاتحاد، إذ امتلأت أبياته بالنداءات الموجهة إلى المسلمين كي يتوحدوا ويتجاوزوا الفرقة والتشتت.إنّ من أبرز سمات الأدب الإسلامي أنه أدبٌ يوحّد ولا يُفرّق، يجمع الأمة على قيم الإيمان لا على العصبيات، ويهتدي بهدي القرآن لا بهوى النفس، وهذا ما تؤكده الآية الكريمة:

{وَاعتصِموا بِحَبلِ اللهِ جَميعاً وَلا تَفرَّقوا}[xlvi]

فهي دعوة للوحدة تحت مظلة الوحي، والانتماء إلى الله لا إلى الحدود الضيّقة أو القوميات المفرّقة. وقد كان هذا المعنى حاضرًا بعمق في فكر محمد إقبال، إذ كان يرى أنّ ضعف الأمة لا يكمن في قلة العُدّة، بل في تشرذمها وانقسامها عن مصدرها الروحي، القرآن الكريم. ولذلك، لطالما دعا إقبال في شعره إلى العودة إلى "حبل الله" بوصفه الرابط الأوحد القادر على جمع الأمة، وبناء وحدتها الداخلية، وإحياء كرامتها بين الأمم. فالأدب عنده ليس ترفًا لغويًا، بل نداءٌ للوحدة واليقظة، يستند إلى الوحي ويمتد في واقع الأمة دعوةً للفكر والعمل والبناء.

ولم يكتفِ بذلك، بل سعى إلى إيقاظ الشعور الإسلامي في النفوس، فتجده يُحرّض المسلمين على الخروج من الجهل والغفلة والذل، ويدعوهم إلى إدراك دورهم الإنساني والحضاري، قائلاً إنهم ليسوا كائنات خُلقوا للأكل والنوم فقط، بل إن عليهم مسؤوليات عظيمة، خصوصًا بصفتهم حملة الرسالة الإسلامية.

ومن السمات البارزة التي تناولها في شعره: الالتزام بالعقيدة الإسلامية والدفاع عن قضايا الأمة، إذ تناول في بعض قصائده قضية فلسطين، وأخرى عن كشمير، حيث عبّر عن دعمه للمظلومين، ودعا إلى نصرتهم وتحريرهم من الظلم والاستبداد. ويمكن القول إن هذه القضايا كانت مجمعًا لعدد من سمات الأدب الإسلامي، إذ نجد فيها نداءً للحرية، وتأكيدًا على وحدة الصف الإسلامي، وغاية نبيلة يُراد بها إعلاء كلمة الحق، بالإضافة إلى إيقاظ الضمير الجمعي لدى المسلمين تجاه إخوانهم المضطهدين، مستلهماً قوله تعالى:

{وَاعتَصِموا بِحَبلِ اللهِ جَميعًا وَلا تَفرَّقوا}[xlvii]

وقوله تعالى أيضاً:

و{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}[xlviii]

يقول إقبال:

"افراد کے ہاتھوں میں ہے اقوام کی تقدیر ہر فرد ہے ملت کے مقدر کا ستارا"[xlix]

ترجمة البيت إلى العربية:

مستقبل الأمم بأيدي الأفراد وكل فرد هو نجم في قدر الأمة

في هذا البيت، يُعبّر محمد إقبال عن قيمة الفرد في بناء الأمة، ويركّز على أهمية دور الإنسان الواحد في تحديد مصير المجتمع كله. فهو لا ينظر إلى الأمة ككتلة واحدة فقط، بل يرى أن كل فردٍ فيها يشكّل عنصرًا حاسمًا في توجيهها نحو الارتقاء أو السقوط.

في هذا البيت يؤكد الشاعر أن كل شخص في الأمة له دور مهم في تقدمها أو تراجعها. فالأمة لا تنهض بالحكام فقط، بل بكل فرد فيها: الطالب، والمعلم، والعامل، والمفكر... كلهم يساهمون في بناء المجتمع. يشبّه الفرد بـ"النجم" في سماء الأمة، أي أنه يُضيء الطريق، وله تأثير في الاتجاه الذي تسير فيه الأمة. فإذا كان الأفراد صالحين ومجتهدين، ارتفعت الأمة، وإذا أهملوا، تأخرت.إذن، محمد إقبال يُعلّمنا هنا أن كل واحد منا مسؤول عن مصير الأمة، وكل جهدٍ صغير له أثرٌ كبير.

محمد إقبال، كعادته، يدمج الشعر بالفكر الإصلاحي والنهضوي، ويُحمّل كل إنسان مسؤولية تجاه أمته. هذه رؤية تتماشى مع مقاصد الإسلام التي تُعلي من شأن العمل الفردي الصالح.

ومن بين خصائص الأدب الإسلامي التي ركّز عليها إقبال ما يُعرف بـ"الغائية"، أي أن كل بيت شعري لديه غرض ومعنى مقصود، لا يقول إقبال بيتًا عبثًا، بل كل كلمة تؤدي وظيفة فكرية وأخلاقية.

فيقول إقبال:

گرم ہو جاتا ہے جب محکوم قوموں کا لہو تھرتھراتا ہے جہانِ چار سُوے ورنگ وبو[1]

ترجمة البيت :

حينما يسخن دمُ الشعوب المستَعبَدة يرتجفُ عالمُ الألوان والعطور من حولها

في هذا البيت، يصوّر محمد إقبال لحظة الوعي واليقظة الثورية لدى الأمم الضعيفة أو المُستَعمَرة، عندما تستفيق من الخضوع وتنهض من جديد.

"گرم ہو جاتا ہے جب محکوم قوموں کا لہو"

يعني: "حين يسخن دم الشعوب المستضعفة"

والمقصود أن الشعوب عندما تغلي دماؤها بحماسة العدل والحرية، وتستيقظ من خنوعها، فإنها تتحول إلى قوة لا يُستهان بها.

"تھرتھراتا ہے جہانِ چار سُوے ورنگ وبو"

يعني: "يرتجف الكون الممتلئ بالألوان والعطور".

العالم الذي كان ساكنًا أو غافلاً يرتعد ويهتز أمام يقظة هذه الأمة، لأنها أصبحت حيوية، حرة، قادرة على التغيير.

يريد إقبال أن يقول إن الأمم المقهورة ليست ميتة أبدًا، بل فيها حياة كامنة، وإذا ثارت وبعثت في دمائها الحماسة من جديد، فإنها تُخيف العالم وتغير توازناته، مهما كانت محاطة بالزخارف والعطور (الترف والهيمنة).

"فخُلاصة القول هو: إذا استيقظت الشعوب المقهورة واشتعلت في عروقها نار العزة، اضطرب العالم بأسره من قوة نهوضها، مهما بدا مزينًا ومسالمًا".

أما "العالمية"، فهي صفة أخرى تتجلى في ديوانه، إذ كثيرًا ما يتوجه بخطابه إلى الإنسانية جمعاء، لا إلى أمة بعينها، مما يدل على أفقه الرحب، وفهمه العميق لرسالة الإسلام العالمية، كما في قوله تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ}[i]

ولا يقتصر الأمر على ديوان أرمغان حجاز وحده، بل إن هذا التأثر ينسحب على مجمل أعماله الشعرية، سواء تلك التي كتبها بالأردية أو الفارسية أو ما تُرجم منها إلى العربية. ولهذا استحق لقب "شاعر الإسلام"، لما تميّز به شعره من التزام عميق بالعقيدة.

ويقول إقبال ايضاً:

تمام عارف و عامی خودی سے بیگانه کوئی بتائے یه مسجد ہے یا که میخانه[ii]

ترجمة البيت :

العارف والعامي جميعهم قد صاروا غرباء عن "الخُودي"

فليخبرني أحد: أهذا مسجد أم حانة خمر؟

في هذا البيت، ينتقد محمد إقبال انفصال الناس عن جوهر الدين وحقيقته، وهو ما يسميه بـ"الخُودي" – أي الوعي بالذات والكرامة والروح الإيمانية الصادقة التي تجعل الإنسان قريبًا من الله، حرًّا ومسؤولًا.

"تمام عارف و عامی خودی سے بیگانه"

المُراد من هذا الشطر أن كل العارفين والعوام أصبحوا غرباء عن الخُودي،

بمعنى أن حتى العلماء (العارف) وكذلك العامة (العامي) لم يعودوا يفهمون أو يعيشون حقيقة الإيمان والروحانية، وأصبحوا منشغلين بالمظاهر دون الجوهر.

"کوئی بتائے یه مسجد ہے یا که میخانه"

أي: فليخبرني أحد، أهذا مسجد أم حانة خمر؟

هنا تعبير مجازي قوي: إذ يتساءل الشاعر في دهشة، هل هذا المكان – الذي يُفترض أن يكون بيتًا لله وموطنًا للنقاء – ما زال مسجدًا؟ أم تحوّل إلى مكان يغيب فيه الوعي كالخمّارة؟

والمعنى أن المسجد فقد دوره الروحي الحقيقي، لأن من فيه فقدوا الصلة بالخُودي، أي بالروح الصادقة والارتباط بالله.

نجد أن المعنى الإجمالي هو أن :

إقبال ينتقد حالة الجمود والفراغ الروحي في المجتمع، حيث أصبح الناس – علماء وعامة – غافلين عن جوهر الدين، ففقدت العبادة معناها، وتحولت المساجد إلى أماكن شكلية لا روح فيها. ولذلك يتساءل بدهشة: هل ما أراه مسجدًا فعلًا؟ أم أنه مكان بلا وعي، كمكان الشراب؟

فخلاصة المعنى هُنا هو:

"عندما يبتعد الناس سواء علماء أو عامة عن جوهر الإيمان والروح الحية، يفقد المسجد نوره، ويغدو كأنّه مجرد مكانٍ أجوف لا فرق بينه وبين حانة!"

وقد حازت شخصية إقبال وشعره اهتمامًا كبيرًا في الأوساط العربية، وكان من أبرز الدراسات في هذا السياق دراسة عبد الوهاب عزام المعنونة: محمد إقبال: سيرته وفلسفته وشعره، والتي تُعد من أوائل ما كُتب عنه للقارئ العربي، مما يدل على حضور إقبال المميز في الفكر العربي الإسلامي.

لقد آمن محمد إقبال بأن الشعر ينبغي أن يكون مرتبطًا بالوحي ومسترشدًا بأخلاق الإسلام، لا تابعًا لأهواء النفس أو غواية الشيطان، مستشهدًا بقول الله تعالى:

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [liii]

فالكلمة الطيبة عنده هي قبس من نور الله، تُقذف في قلب المؤمن فتضيء درب الإنسانية. من هنا نفهم أن أدب إقبال ليس غزليًاهابطًا أو شهوانيًا مُبتذلًا، بل هو أدب يُربي النفوس ويُهذّب الأرواح ويُطهّر القلب من أدران الشهوات.

يقول إقبال:

وأرى الجمال جميعه في أن تربفي سجدةٍ للقوةِ الأفلاكُ

ولنغمةٍ من دون نارٍ نفخةما الحُسنُ إلا بالجلال يُحاكُ [liv]

وفي بيت آخر، يُظهر إقبال كيف يسمو العشق الحقيقي فوق الغريزة، فيقول:

"رأيتُ العشق يقفو اليوم نهجًا من العقل الإلهي القويم

وليس يُريق ماء الوجه ذلًاعلى عتباتِ محبوبٍ غريم" [lv]

ففي الشطر الأول يربط إقبال بين الجمال والخضوع الإلهي، معتبرًا أنَّ الجمال الحقيقي يتجلّى حين ترى الأفلاك ساجدة أمام "القوة"، وهي رمز للعزة الإلهية. فصورة السجود هنا تعبير بلاغي عن خضوع الكون بأكمله لعظمة الله، وتوحُّده في التسبيح والتقديس. ويؤكّد الشاعر أن الجمال لا يتحقّق إلا في ظلّ الجلال الإلهي، فليس للجمال قيمة في ذاته إن لم يكن

انعكاسًا لعظمة الخالق. ومن خلال هذا التصوير الفنيّ، يعبّر إقبال عن رؤيته الفلسفية التي ترى في الجمال بُعدًا توحيديًّا وإيمانيًّا، مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بجلال الله وقدرته المطلقة.

وأرى الجمال جميعه في أن ترى في سجدةٍ للقوةِ الأفلاكُ"

فهو يتخيل الكون كله، من كواكب ونجوم، يخضع ويخشع كأنه في سجدة لله، هذه السجود تمثل حالة التواضع والاحترام الكامل أمام الله العظيم.

استخدام كلمة "القوة" هنا يرمز إلى قدرة الله وعظمته التي تتحكم في كل شيء في الكون، فلا شيء أقدر من هذه القوة، ولا شيء أجمل من خضوع الكون لها. وهذا يعني أن الجمال هو في الاتصال بالله والإقرار بعظمته، وليس في مظاهر دنيوية سطحية.

كما أن هذا التصوير يربط بين الجمال والخضوع الروحي، فالكون بأسره يعبّر عن جماله الحقيقي من خلال تسبيحه وتمجيده لخالقه. وهذا يدعو القارئ أن يفهم أن الجمال الحقيقي في الحياة هو ذلك الجمال الروحي الذي ينبع من الإيمان والارتباط بالله.

باختصار، الجمال عند إقبال ليس مجرد منظر أو شكل بل هو إحساس روحي عميق يظهر في الخضوع والتقدير لعظمة الله في كل ما حولنا.

ولَنغمة من دون نارنفخة ما الحُسن إلا بالجلال يُحاكُ"[lvi]

في الشطر الأول من البيت، يعبر إقبال عن فكرة جوهرية في فلسفة الجمال، حيث يؤكد أن الجمال الحقيقي لا ينبع من شيء بسيط أو خارجي فقط، بل هو مرتبط بالقوة والهيبة الإلهية.

"ولَنغمة من دون نار نفخة": النغمة هنا ترمز إلى الجمال أو الإبداع الفني، أما "النار" فتمثل الطاقة والقوة الحيوية التي تعطي الحياة والحركة لتلك النغمة. و"نفخة" تعني النفخ أو الإعطاء للحياة. بمعنى آخر، لا يمكن للنغمة أن تصدر حياة أو جمالًا حقيقيًا دون أن تُشعل نارًا أو طاقة داخلية تعطيها الحيوية.

"ما الحُسن إلا بالجلال يُحاكُ": أي أن الجمال أو الحسن لا يمكن أن يُنسج أو يُخلق إلا بوجود الجلال، وهو العظمة والإجلال الإلهي. فالجمال الحقيقي، في نظر إقبال، هو انعكاس لجلال الله وعظمته.

البيت مجملًا يؤكد أن الجمال لا يكون حقيقيًا إلا إذا كان متجذرًا في القوة والعظمة الإلهية، ولا يمكن لأي شكل من أشكال الفن أو الجمال أن يكون كاملاً دون هذه النار الروحية التي تمنحه الحياة، وهي نار الجلال الإلهي.

في هذين الشطرين، يُقدّم إقبال تصورًا ساميًا للحبّ، فهو لا يرى العشق مجرد انفعال عاطفي، أو انجراف وراء الهوى، بل يعتبره سلوكًا متزنًا يسير على "نهج العقل الإلهي القويم"، أي على طريق الحكمة الربانية التي لا انفصال فيها بين القلب والعقل، ولا بين الشعور والفكر. فالعشق في هذا المنظور هو ثمرة النور الإلهي، والوعي بالكرامة الإنسانية، وليس عاطفةً منفلتة تُذلّ صاحبها.

ويُكمّل إقبال هذه الفكرة فيالشطر الثاني من البيت، حيث يرفض الحبّ الذي يُهين الإنسان ويمتهن كرامته، قائلًا:**"إن العاشق الحقيقي لا "يُريق ماء وجهه"**.

أي لا يُذل نفسه على أعتاب محبوبٍ لا يُقدّره، بل قد يكون "غريمًا"، أي خصمًا وعدوًّا.

فهو بذلك ينفي عن العشق صورة التوسّل والانكسار أمام من لا يليق بالمحبة، ليُعيد إليه صفته السامية بوصفه قيمة روحية وأخلاقية ترتبط بالكرامة، وتُهذّب النفس، لا تُحطمه.

وهذا التصور يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقيم الإسلامية التي ترفض الذلّ إلا لله، وتعلي من شأن العزة والكرامة، كما جاء في قوله تعالى:

{وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[lvii].

تشير الآية الكريمة إلى أن العزّة – أي الرفعة والغلبة والهيبة – ملكٌ خالصٌ لله تعالى، وهو يمنحها لمن يشاء من عباده، فجعلها ثابتة لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به، لأنهم يستمدّون قوتهم من ارتباطهم بالله، لا من مظاهر الدنيا أو زينة الحياة. وقد نزلت هذه الآية ردًّا على تهديد أطلقه رأس النفاق عبد الله بن أُبيّ حين قال إنه سيُخرج النبي ﷺ من المدينة، مدّعيًا أن له العزة والسلطان. فجاء الرد الإلهي حاسمًا، ليُقرر أن العزة لله وحده، وهي ليست بالمظاهر، وإنما بما يَمنحُه الله من قوةٍ وكرامةٍ لعباده الصادقين. وتُشير الآية في ختامها إلى جهل المنافقين حين قال: {وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}، لأنهم لا يدركون أنّ قوتهم المزعومة زائفة، وأن الذلّ الحقيقي هو في كفرهم ونفاقهم، بينما العزة الحقة مع الإيمان والصدق والارتباط بالله.وكما يظهر أيضًا في دعوة الإسلام إلى أن تكون المحبة قائمة على الإيمان والنور، لا على الضعف والتعلق الأعمى.وبذلك، يتّضح أن محمد إقبال لم يكن مجرد شاعر، بل صاحب رسالة إيمانية سامية، قدّمها من خلال قالب أدبي رفيع، مؤمنًا بأن للأدب دورًا تربويًا لا يقل عن دوره الفني، وأن الأديب المسلم لا ينفصل عن عقيدته، بل يجعل منها منطلقًا لرؤيته وتعبيره وتفكيره.

نشأ محمد إقبال في بيئة إسلامية علمية، وكان للأدب الإسلامي تأثير جوهري في تشكيل شخصيته الفكرية والشعرية. فقد قرأ منذ صغره القرآن الكريم وتأمّل في معانيه، ودرس كتب التفسير لكبار العلماء، وتعمّق في الحديث النبوي الشريف وعلومه، مما كوّن عنده مرجعية شرعية راسخة. إلى جانب ذلك، اطّلع على كتب الفقه والفلسفة الإسلامية، وخاصة تراث علماء الهند والعالم الإسلامي، مما منحه قدرة على استحضار الفكر الإسلامي في قالب أدبي حديث. تأثر إقبال بالأدب العربي الكلاسيكي، وقرأ دواوين الشعراء العرب في الجاهلية والإسلام، ما انعكس على لغته وصوره واستعاراته. وقد ساعده هذا الامتزاج البلاغي العربي على بناء خطاب شعري ذي عمق فني وروحي، استطاع من خلاله التعبير عن مفاهيم إسلامية كبرى مثل الذات والبعث والتوحيد والإصلاح، بلغة رمزية وشاعرية معاصرة[lviii].

لم يكن تعاطي إقبال مع الفكر الإسلامي شكليًا، بل قام على وعي حضاري، حيث سعى إلى إعادة تشكيل القيم الإسلامية وفق تحديات العصر. فالشعر لديه لم يكن غرضًا جماليًا فقط، بل وسيلة لإحياء الأمة، وتحرير الذات من التبعية، وصناعة الإنسان المؤمن الفاعل. وقد تجلّى ذلك في استحضاره المتكرّر للرموز الإسلامية، ومفاهيم كالخلافة، والكرامة، والذات الفاعلة، واليقظة الروحية. رصدت دراسات عديدة في باكستان والهند والعالم العربي الأبعاد الإسلامية في شعر إقبال، وتنوّعت تلك الدراسات بين من ركّز على الأثر القرآني في مفرداته وصوره، ومن تناول النزعة الفلسفية ذات الجذور

الإسلامية، ومن وقف عند البعد الأخلاقي والدعوي في مشروعه. هذا التنوّع البحثي يبرز مدى عمق التكوين الإسلامي في إنتاجه الأدبي، ويعكس وعي الباحثين بأهمية تجربته في ربط الشعر بالفكر والرسالة[lix].

امتاز شعر محمد إقبال بجمعه بين البعد الإيماني العميق والفكر الإصلاحي الهادف. فقصائده لا تدور في دائرة الذات أو الوجدان وحده، بل تنبع من رؤية قرآنية للإنسان والخليفة والمجتمع. وقد عبّر عن هذه الرؤية بلغة شاعرية محمّلة بالرمز والمعنى، فأنتج أدبًا إسلاميًا قادرًا على التفاعل مع قضايا الواقع ومواجهة تحديات العصر[lx1].

وخلاصة الكلام،

يتناول هذا البحث موضوع الأدب الإسلامي وتأثر محمد إقبال به، من خلال دراسة العلاقة الوثيقة بين نتاج إقبال الشعري والفكري وبين التراث الأدبي الإسلامي بمصادره المتنوعة؛ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأدب العلماء والمفكرين المسلمين عبر العصور. فقد وجد إقبال في الأدب الإسلامي منبعًا للإلهام الروحي والفكري، يعزز رسالته في إيقاظ الأمة الإسلامية من غفوتها، وبث روح العزة والكرامة فيها. يبرز البحث كيف انعكست مضامين الأدب الإسلامي في شعره وفلسفته، ولا سيما في الدعوة إلى التمسك بالقيم القرآنية، والاعتزاز بالهوية الإسلامية، ومقاومة مظاهر الانحطاط والاستعمار. كما يوضح أن إقبال لم يكن مجرد ناقل لهذا الأدب، بل وظّفه في بناء مشروع فكري وأدبي جديد يمزج بين الأصالة الإسلامية والمعاصرة، محاولًا تقديم رؤية إصلاحية تتناسب مع تحديات العصر. ومن ثمّ، فإن البحث يؤكد أن الأدب الإسلامي كان أحد أهم منابع التكوين الفكري والوجداني لمحمد إقبال، ومصدرًا رئيسًا في تشكيل فلسفته الأدبية والإنسانية.

1

المصادرو المرجع

1. القرآن الكريم -
2. . د. هاني إسماعيل رمضان، "نظرية الأدب الإسلامي عند محمد إقبال"، مجلة بشاور إسلاميكس، مجلد 9، عدد 1 ،2018،
3. .دز علي علي صُبح، الأدب الإسلامي الصوفي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية (القاهرة: المكتبة الأزهرية لتراث، 1997)،
4. Muhammad Iqbal, Bal-e-Jibril (Lahore: Iqbal Academy Pakistan, 1935),
5. خالد بن سعود الحليبي، البناء الفني في شعر عمر بهاء الدين الأميري، ط1 (الأحساء: نادي الأحساء الأدبي، 2009)،
6. سُهيلة زين العابدين حماد، التيار الإسلامي في شعر عبد الرحمن العشماوي: دراسة نقدية وفق نظرية التصور الإسلامي في النقد الأدبي، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان، 2004).
7. سيد سلطان محمود حسين، علامه اقبال کےاستاد شمس العلماء مولوی سید میر حسن: حیات و افکار (لاهور: اقبال اکادمی پاکستان، 2007)،
8. سيد قُطب الأديب الناقد، والداعية المُجاهد والمُفكر المُفسر الرائد ، صلاح عبد الفتاح الخالدي.
9. عبد الله بن عبد الحميد المهنا، رواد الدعوة، الطبعة الأولى (الرياض: دار طيبة، 1993)
10. علي صُبح، عبد العزيز شرف، ومحمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الإسلامي: المفهوم والقضية، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1992،
11. عماد الدين خليل، الأدب الإسلامي من الرؤية إلى الإبداع، ط2 (بيروت: دار ابن كثير، 2006)، ص 6[1].
12. عماد الدين خليل، حول استراتيجية الأدب الإسلامي: نظرية الأدب، ط1 (دمشق: دار ابن كثير، 2012)،
13. فائقة عبد يحيى يماني، الشيخ عبد العزيز بن باز يرحمه الله: جهوده وفكره التربوي، دراسة وصفية وتحليلية، بحث ماجستير، إشراف: أميرة طه بخش (مكة المكرمة: كلية التربية، جامعة أم القرى، 1425ه)،
14. محمد إقبال، أرمغانِ حجاز، ط1 (لاهور: إقبال أكاديمي)، محمد إقبال، أرمغانِ حجاز،
15. محمد إقبال، بال جبريل، جمع وشرح: سيد نذير نيّازي (لاهور: إقبال أكاديمي باكستان، 1990)
16. محمد إقبال، بالِ جبرِيل، ديوان شعري بالأردية، لاهور: إقبال أكاديمي باكستان، 1935،.
17. محمد إقبال، ضرب الكليم: وترجمه عبد الوهاب عزام بك (القاهرة: دار جماعة الأزهر للنشر والتأليف، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، ٤٠ شارع نوبار باشا، 1952)، الديوان 6، القسم 4
18. محمد المجذوب، مواقف الأدب العربي الحديث، ط2 (بيروت: دار العلم للملايين، 1990)
19. محمد المجذوب، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، ط2 (الرياض: دار طيبة، 1995)
20. محمد عتيق الرحمن، سمية إسلام، «تأثر إقبال بالأدب العربي والإسلامي»، مجلة الأسوة البحثية، المجلد 4، العدد 1 (يناير–يونيو 2024)،
21. محمد عتيق الرحمن، سمية إسلام، «تأثر إقبال بالأدب العربي والإسلامي»، (يناير–يونيو 2024[1].
22. محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط4 (القاهرة: دار الشروق، 1999)، ص 25[1].

23. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)

24. نجيب الكيلاني، الإسلام والمذاهب الأدبية، ط3 (القاهرة: مؤسسة الرسالة، 1992)، ص195[1].

25. نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، ط1 (الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، 1987م

26. نظرات في الأدب، دور محمد إقبال في توجيه الأدب والشعر، ط2 (عمّان: دار البشير، 1997)،

27. هاني إسماعيل رمضان، "نظرية الأدب الإسلامي عند محمد إقبال"، 2018.

الهوامش

[i] القرآن الكريم، سورة طه، الآية 114.

.محمد إقبال، بال جبريل، جمع وشرح: سيد نذير نيّازي (لاهور: إقبال أكاديمي باكستان، 1990)، ص. 74.iv

v. علي صُبح، عبد العزيز شرف، ومحمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الإسلامي: المفهوم والقضية، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1992، ص5v

vi. محمد المجذوب (1927–2004م) ناقد وأديب لبناني، أسهم في النقد الأدبي الحديث، ومن مؤلفاته دراسات في الشعر المعاصر والمدارس الأدبية الحديثة. أُنظر: محمد المجذوب، مواقف الأدب العربي الحديث، ط2 (بيروت: دار العلم للملايين، 1990)، ص15. 92. أُنظر: محمد المجذوب، نحو viiمذهب إسلامي في الأدب والنقد، ط2 (الرياض: دار طيبة، 1995)، ص25.

أُنظر: القرآن الكريم، سورة الشمس، الآيتان 9–10[vi].

أُنظر: القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 90[vii].

[viii].أُنظر: القرآن الكريم،سورة النجم، الآية 43

أُنظر: القرآن الكريم،سورة النساء، الآية 19[ix].

سورة فصلت، الآية 34أُنظر: القرآن الكريم،[x].

[xi]. أُنظر: القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13

عبد الرحمن العشماوي (1955م) شاعر وأديب سعودي معاصر، عمل أكاديميًا وإعلاميًا، وبرز في الساحة الأدبية بدواوينه ومؤلفاته مثل علاقة الأدب بشخصية الأمة وبلادنا والتميّز. أُنظر: سُهيلة زين العابدين حماد، التيار الإسلامي في شعر عبد الرحمن العشماوي: دراسة نقدية وفق نظرية التصور الإسلامي في النقد الأدبي، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان، 2004)، ص81، 89- 90

القرآن الكريم، سورة المجادلة، الآية 11[xiii].

عبد العزيز بن باز (1912–1999م) من كبار علماء السعودية، تولّى مناصب دينية عليا وأسهم في نشر التعليم والإصلاح. من أبرز مؤلفاته: العقيدة الصحيحة، نقد القومية العربية، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة. أُنظر: فائقة عبد يحيى يماني، الشيخ عبد العزيز بن باز يرحمه الله: جهوده وفكره التربوي، دراسة وصفية وتحليلية، بحث ماجستير، إشراف: أميرة طه بخش (مكة المكرمة: كلية التربية، جامعة أم القرى، 1425هـ)،ص16، 22، 40، 50، 59

عمر بهاء الدين الأميري (1916–1992م) شاعر وأديب إسلامي سوري، أسّس جمعية "اليد العاملة" وشارك في ندوات فكرية وأدبية. من أشهر مؤلفاته: الساعة الرابعة والنصف، أمتي في العالم، حديث القلب، وقيمنا وأسسنا الحضارية. أُنظر: خالد بن سعود الحليبي، البناء الفني في شعر عمر بهاء الدين الأميري، ط1 (الأحساء: نادي الأحساء الأدبي، 2009)،ص7، 17، 45–50

أُنظر: عبد الله بن عبد الحميد المهنا، رواد الدعوة، الطبعة الأولى (الرياض: دار طيبة، 1993)، ص 64[xvi].

. القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية 60.

أُنظر: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم 2664، ج4، ص2058

القرآن الكريم، سورة سورة المنافقون، الآية 8[xix].

دز علي علي صُبح، الأدب الإسلامي الصوفي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية (القاهرة: المكتبة الأزهرية لتراث، 1997)، ص4

الدكتور عبد الباسط بدر (1944–2020) أديب وناقد سوري، أستاذ الأدب الإسلامي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. من أبرز أعماله: مذاهب الأدب الغربي: رؤية إسلامية، إلى جانب عدة مؤلفات في الأدب الإسلامي منها مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ودليل مكتبة الأدب الإسلامي

الحديث. أُنظر: "تفاصيل سبب وفاة الدكتور عبد الباسط بدر في المدينة المنورة"، وكالة سوا الإخبارية، 27 أبريل 2020، https://palsawa.com/post/254

[xxii] عماد الدين خليل، حول استراتيجية الأدب الإسلامي: نظرية الأدب، ط1 (دمشق: دار ابن كثير، 2012)، ص9-13.

هاني إسماعيل رمضان، نظرية الأدب الإسلامي عند محمد إقبال، مجلة بشاور إسلاميكس، مجلد 9، عدد 1 (يناير–يونيو 2018): 100–103

[xxiv] نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، ط1 (الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، 1987م)، ص20

[xxv] القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية 23

د. هاني إسماعيل رمضان وُلِد سنة 1979م، ولا يزال حيًا ويواصل نشاطه الأكاديمي كأستاذ مساعد في اللغة العربية بجامعة غيرسون في تركيا. أبرز مؤلفاته: نظرية الأدب الإسلامي عند محمد إقبال، والمعجم السياقي للألفاظ المؤنثة في العربية، أُنظر: هاني إسماعيل رمضان، "نظرية الأدب الإسلامي عند محمد إقبال"، مجلة بشاور إسلاميكس، مجلد 9، عدد 1 ،2018، ص 211

هاني إسماعيل رمضان، "نظرية الأدب الإسلامي عند محمد إقبال"، مجلة بشاور إسلاميكس، مج9، عدد 1 ،2018، ص 212

115 .هو محمد قُطب إبراهيم حسين شاذلي، الشهير بـ(محمد قُطب)، ولد في موشه سنة 1919م، توجه إلى الفكر الإسلامي منذ أن كان شاباً توجَّه إلى الفكر الإسلامي، أصدر العديد من الدِراسات الإسلامية، ومن أجود كُتبه منهج التربية الإسلامية. أُنظر: سيد قُطب الأديب الناقد، والداعية المُجاهد والمُفكر المُفسر الرائد ، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص59-60.

[xxix] نجيب الكيلاني، الإسلام والمذاهب الأدبية، ط3 (القاهرة: مؤسسة الرسالة، 1992)، ص195.

[xxx] محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط4 (القاهرة: دار الشروق، 1999)، ص 25.

[xxxi] عماد الدين خليل، الأدب الإسلامي من الرؤية إلى الإبداع، ط2 (بيروت: دار ابن كثير، 2006)، ص 6.

[xxxii] هاني إسماعيل رمضان، "نظرية الأدب الإسلامي عند محمد إقبال"، 2018، 15.

[xxxiii] أُنظر: القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 31.

199. أُنظر: محمد إقبال، بالِ جبرِيل، ديوان شعري بالأردية، لاهور: إقبال أكاديمي باكستان، 1935، ص 92

Muhammad Iqbal, Bal-e-Jibril (Lahore: Iqbal Academy Pakistan, 1935),Page 92

[xxxv] أُنظر: القرآن الكريم، سورة الشرح، الآية4 ..

[xxxvi] أُنظر: القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 15.

[xxxvii] أُنظر: القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11.

[xxxviii] أُنظر: القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 105.

[xxxix] نظرة الأدب الإسلامي عند إقبال، ص103-105

[xl] محمد إقبال، أرمغانِ حجاز، ط1 (لاهور: إقبال أكاديمي)، ص26

[xli] محمد إقبال، أرمغانِ حجاز، ص35.

محمد عتيق الرحمن، سمية إسلام، «تأثر إقبال بالأدب العربي والإسلامي»، مجلة الأسوة البحثية، المجلد 4، العدد 1 (يناير–يونيو 2024)، ص 58.[xlii]

208. سيد سلطان محمود حسين، علامہاقبالکےاستاد شمس العلماء مولوی سید میر حسن: حیات و افکار (لاہور: اقبال اکادمی پاکستان، 2007)، Iqbal Cyber Library،ص220

[xliv] محمد عتيق الرحمن، سمية إسلام، «تأثر إقبال بالأدب العربي والإسلامي»، (يناير–يونيو 2024)، ص59.

[xlv] أُنظر: القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية 60.

[xlvi] أُنظر: القراآن الكريم، آل عمران: 103.

[xlvii] أُنظر: القرآن الكريم، آل عمران: 103

.أُنظر: القرآن الكريم ، البقرة: 190

[xlix] محمد إقبال ، ارمغان حجاز، ص6.

[i] أُنظر: محمد إقبال، أرمُغان حِجاز.

[ii] أُنظر: القرآن الكريم، سبأ: 28.

[iii] أُنظر: محمد إقبال، أرمُغان حِجاز. ص11.

[iiii] أُنظر: القرآن الكريم، [ق: 18].

178. أُنظر: محمد إقبال، ضرب الكليم: إعلان الحرب على العصر الحاضر، نظم بالأردية، ترجمه عبد الوهاب عزام بك (القاهرة: دار جماعة الأزهر للنشر والتأليف، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، ٤٠ شارع نوبار باشا – سابقًا شارع التداوين، 1952)، القسم 4، الديوان 6، ص 89

180. أُنظر: محمد إقبال، ضرب الكليم: إعلان الحرب على العصر الحاضر، نظمه باللغة الأردية شاعر الإسلام الفيلسوف محمد إقبال، ترجمة عبد الوهاب عزام (سفير مصر لدى باكستان)، ديوان 6، قسم 4 (1952)، ص 74

181. أُنظرِ: محمد إقبال، ضرب الكليم: إعلان الحرب على العصر الحاضر، نظمه باللغة الأردية الفيلسوف شاعر الإسلام محمد إقبال، وترجمه عبد الوهاب عزام بك (القاهرة: دار جماعة الأزهر للنشر والتأليف، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، ٤٠ شارع نوبار باشا، 1952)، الديوان 6، القسم 4، ص 89

[lvii] أُنظر: القرآن الكريم، سورة المنافقون، الآية 8.

[lviii] نظرات في الأدب، دور محمد إقبال في توجيه الأدب والشعر، ط2 (عمّان: دار البشير، 1997)،

[lix] المصدر نفسه،1997، 72.

[lx] المصدر نفسه،1997، 73.